أدب القضية الفلسطينية من وجهة نظر اسرائيلية

شمعون بلاص (*)، **الأدب العربي في ظل الحرب، ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣**، (ترجمة زكي درويش)، شفاعمرو: دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، ١٩٨٤، ٢٨٠ صفحة.

يتعرض المؤلف، في كتابه هذا، لمختلف مظاهر النزاع الفلسطيني ـ الاسرائيلي، في مختلف مراحله. لذلك، فان دراسته لا تخوض في الجانب الفني للكتابات الابداعية، بل تقتصر على الموضوعات أو المضامين السياسية. وهو يبرر ذلك بكون كتابه «محاولة لدراسة الانتاج الأدبي الذي يعكس موضوع النزاع وما يترتب عليه في حياة الفرد، منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٧٣».

ويرى بلاص ان موضوع النزاع العربي ـ الاسرائيلي، في الفترة التي تلت العام ١٩٤٨، ظلّ مقتصراً، تقريباً، على الادباء الفلسطينيين، حتى العام ١٩٦٧. ذلك ان المشكلة الفلسطينية كانت مشكلة سياسية، أساساً، بالنسبة إلى العرب من غير الفلسطينيين. لكن هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ مسّت العرب مباشرة، إثر إحتلال أجزاء واسعة من أراضي دول عربية أخرى. وبذلك صار النزاع العربي ـ الاسرائيلي يجد اهتماماً أوسع من الكاتب العربي، غير الفلسطيني، الذي وجد نفسه «مهزوماً مثله مثل باقي أفراد شعبه، الأمر الذي لم يحصل له في الحربين السابقتين: في ١٩٤٨ و ١٩٥٦».

وفيما يتعلق بمراحل الأدب الفلسطيني، يعتبر المؤلف ان العام ١٩٤٨ هو بمثابة حد فاصل بين مرحلتين في حياة الأدب الفلسطيني ونقطة تحول لاستجماع عناصره المميّزة. ذلك ان هذا الأدب، قبل ١٩٤٨، كان «رافداً هزيلاً» يتلاشى، أو يكاد، في التيار العام للأدب العربي الذي يتدفق في مصر خاصة. ليصبح، فيما بعد، «منبعاً يستقطب الاهتمام» عند ظهور جيل جديد من الادباء تبنّى محن شعبه.

ويعتبر أن ثمة فرعين للأدب الفلسطيني، من حيث التصنيف الجغرافي: أدب ينتجه فلسطينيو المخيمات (ويدعوه أدب لاجئين) وآخر ينتجه الفلسطينيون الذين بقوا في اسرائيل (ويدعوه أدب أقلية قومية). وإذا كان الفرعان يتميزان بعناصر خاصة، نابعة من واقع الممارسة على أرضيتين مختلفتين؛ أي موضوع الفلسطيني كلاجئ مستلب الحقوق بالنسبة إلى «أدب اللاجئين»، وموضوع الفرد الفلسطيني كجزء من أقلية، بالنسبة إلى «أدب الأقلية القومية»، فان هذين الفرعين لا يتناقضان، بل يتكاملان كفرعين من جذع واحد: وجود شعب مشتت يحاول الالتقاء في أرضه، وهو الوجود الفلسطيني. ويشير بلاص إلى ان حلقة الوصل المتينة بين الاتجاهين تكمن في وحدة الاحساس بالغربة «فالاحساس بالغربة لدى اللاجئ البعيد عن مسقط رأسه يقابله الاحساس بالغربة لدى أخيه الذي أصبح، بفعل الواقع، مواطناً اسرائيلياً».

(*) كاتب يهودي. ولد في بغداد العام ١٩٣٠ ونزح منها إلى اسرائيل العام ١٩٥١.